تفسير إبن كثير

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا

قال الحسن وقتادة : نزلت هذه الآية ، وهي قوله : (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) في اليهود والنصارى ، حين قالوا : (نحن أبناء الله وأحباؤه)وقال ابن زيد : نزلت في قولهم : (نحن أبناء الله وأحباؤه) [المائدة : 18] ، وفي قولهم : (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) [البقرة : 111] .وقال مجاهد : كانوا يقدمون الصبيان أمامهم في الدعاء والصلاة يؤمونهم ، ويزعمون أنهم لا ذنب لهم .وكذا قال عكرمة ، وأبو مالك . روى ذلك ابن جرير .وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) وذلك أن اليهود قالوا : إن أبناءنا توفوا وهم لنا قربة ، وسيشفعون لنا ويزكوننا ، فأنزل الله على محمد [صلى الله عليه وسلم] (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا) رواه ابن جرير .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن مصفى ، حدثنا ابن حمير ، عن ابن لهيعة ، عن بشر بن أبي عمرو عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت اليهود يقدمون صبيانهم

يصلون بهم ، ويقربون قربانهم ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب . وكذبوا . قال االله [تعالى] إني لا أطهر ذا ذنب بآخر لا ذنب له " وأنزل االله : (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم)ثم قال : وروي عن مجاهد ، وأبي مالك ، والسدي ، وعكرمة ، والضحاك - نحو ذلك .وقال الضحاك : قالوا : ليس لنا ذنوب ، كما ليس لأبنائنا ذنوب . فأنزل االله ذلك فيهم .وقيل : نزلت في ذم التمادح والتزكية .وقد جاء في الحديث الصحيح عند مسلم ، عن المقداد بن الأسود قال : أمرنا رسول االله صلى االله عليه وسلم أن نحثو في وجوه المداحين التراب .وفي الحديث الآخر المخرج في الصحيحين من طريق خالد الحذاء ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه : أن رسول االله صلى االله عليه وسلم سمع رجلا يثني على رجل ، فقال : " ويحك . قطعت عنق صاحبك " . ثم قال : " إن كان أحدكم مادحا صاحبه لا محالة ، فليقل : أحسبه كذا ولا يزكي على االله أحدا " .وقال الإمام أحمد : حدثنا معتمر ، عن أبيه ، عن نعيم بن أبي هند قال : قال عمر بن الخطاب : من قال : أنا مؤمن ، فهو كافر . ومن قال : هو عالم ، فهو جاهل . ومن قال : هو في الجنة ، فهو في النار .ورواه ابن مردويه ، من طريق موسى بن عبيدة ، عن طلحة بن عبيد االله بن كريز ،

عن عمر أنه قال : إن أخوف ما أخاف عليكم إعجاب المرء برأيه ، فمن قال : إنه مؤمن ، فهو كافر ، ومن قال : إنه عالم فهو جاهل ، ومن قال : إنه في الجنة ، فهو في النار .وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة وحجاج ، أنبأنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن معبد الجهني قال : كان معاوية قلما يحدث عن النبي صلى االله عليه وسلم ، قال : وكان قلما يكاد أن يدع يوم الجمعة هؤلاء الكلمات أن يحدث بهن عن النبي صلى االله عليه وسلم ، يقول : " من يرد االله به خيرا يفقهه في الدين ، وإن هذا المال حلو خضر ، فمن يأخذه بحقه يبارك له فيه ، وإياكم والتمادح فإنه الذبح " .وروى ابن ماجه منه : " إياكم والتمادح فإنه الذبح " عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن غندر ، عن شعبة به .ومعبد هذا هو ابن عبد االله بن عويم البصري القدري .وقال ابن جرير : حدثنا يحيى بن إبراهيم المسعودي ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : قال عبد االله بن مسعود : إن الرجل ليغدو بدينه ، ثم يرجع وما معه منه شيء ، يلقى الرجل ليس يملك له نفعا ولا ضرا فيقول له : واالله إنك كيت وكيت فلعله أن يرجع ولم يحل من حاجته بشيء وقد أسخط االله . ثم قرأ) ألم تر

إلى الذين يزكون أنفسهم) الآية .وسيأتي الكلام على ذلك مطولا عند قوله تعالى : (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) [النجم : 32] . ولهذا قال تعالى : (بل االله يزكي من يشاء) أي : المرجع في ذلك إلى االله ، عز وجل لأنه عالم بحقائق الأمور وغوامضها .ثم قال تعالى : (ولا يظلمون فتيلا) أي : ولا يترك لأحد من الأجر ما يوازن مقدار الفتيل .قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، والحسن ، وقتادة ، وغير واحد من السلف : هو ما يكون في شق النواة .وعن ابن عباس أيضا : هو ما فتلت بين أصابعك . وكلا القولين متقارب .